

غزوة - الرجوع إلى دين الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد إخوة الإيمان يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أ من قلة يا رسول الله فقال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا و مالوهن يار سول الله ، قال حب الدنيا و كراهية الموت. والناظر إلى حال الأمة يرى نبوءة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد مرت الأمة منذ أيام بأحداث أليمة ، أحداث مريعة في غزوة قتل فيها المئات من الأطفال والشيوخ والنساء الأبرياء والمجتمع الدولي غارق في نومه صامت لا يحرك ساكنا ، وليست مجزرة غزوة هي الوحيدة في حياة أمة الإسلام بل أحداث و أحداث حتى لا تكاد تبحث عن تشريد أو تهجير عن مجاعة أو فقر إلى وكان للمسلمين فيها النصيب الكبير

نحن نعمل علم اليقين أن الأحداث كلها تسير بقدر الله وعلى عين الله (ما أصاب من مصيبة في الرض ولا في أنفسكم إلى في كتاب من قبل أن نبرأها) ولكن علينا أن نسائل أنفسنا ونحاسب أنفسنا بعد كل حدث من الأحداث . لقد أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قوله وتعالى (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وهذا خطاب واضح على ضرورة المحاسبة والوقوف مع هذه الأحداث والإستفادة منها بالعبر والدروس .

أيها الإخوة أيتها الأخوات المشكلة فينا أننا نعمل الدواء الذي جربته هذه الأمة من قبل فغير حالها من أمة تتخطفها الأمم إلى أمة شهيدة على الناس نحن ننأى عن الدواء الذي غير حال أسلافنا من رعاة إلى سادة يسطرون للبشرية أروع الدروس في العدل . إننا ننأى عن كتاب الله وعن دين الله سبحانه وتعالى الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فغير به الأمة من أمة فقيرة ضعيفة تعيش عالية على الأمم إلى أمة قوية يحسب لها العالم ألف حساب . وحين أقول دين الله لا أقصد

الإيمان باللسان وحين أقول كتاب الله لا أقصد فقط تلاوته أو حفظه بل تدبره وجعله منهاج حياة .

لقد غير هذا الكتاب عبدالله بن رواحة رضي الله عنه من شاعر يعيش على شعره إلى إنسان يسطر للبشرية درس في العدل فلقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ليجلب منهم ثمار المدينة فحاولوا رشوته فقال لهم يا معشر يهود إنكم والله لمن أبغض خلق الله إلي ولكن هذا ليس بدافعي لظلمكم و أخذ حقم أما الذي عرضتم من الشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها فقال اليهود بهذا قامت السموات والأرض .

وغير هذا الدين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من رجل يصنع تمثالا وآلهة من تمر ثم يجوع فيأكله إلى رجل يسطر للبشرية درس الراقى في حرية الإنسان حين قال متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

الفرق بيننا وبينهم أنهم فهموا هذا الدين حق الفهم وأقاموه في نفوسهم وبينهم فاستطاعوا بذلك أن يكونوا أقوياء متماسكين هم عندما قرأوا قول الله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتبا من يعمل سوءا يجزى به) عرفوا أن الله سننا في هذا الكون لا تحابى أحدا ولا تجامل بشرا فأتبعوها وبنوا عليها دولتهم .

وعندما قرأوا قول الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) عرفوا أنهم لا بد أن يقيموا العدل بينهم فكان يقتص من القوي للضعيف ومن الغني للفقير . موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سواد بن غزية رضي الله عنه .

وعندما قول الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) علموا الناس سواسية فليس لعربي على أعجمي ولا بد أبيض على أسود من فضل بل كلهم عباد متساوون في هذه الدنيا . موقف بلال وأبي ذر رضي الله عنهم .

إننا بمراجعة بسيطة لهذه القيم وهذه المبادئ في واقع أمرنا وفي بلداننا نجد أننا ابتعدنا عنها ولم نقم عليها دولنا فعم في بلداننا الظلم والفساد وصرنا عالية على

الأمم وغياء كغذاء السيل ونزع الله من صدور أعدائنا المهابة منا ويمو أن نرجع إلى هذه السنن والقيم والمبادئ ونقيم عليها دولنا سنكون بعون الله دولا قوية يحسب لها ألف حساب .

إننا يجب أن نفهم هذا الدين حق الفهم ويجب أن نطبق أوامره وسننه ونتبع مقاصده ولا نحصر أمر الدين في عبادات نؤديها أو حدود بل ديننا أوسع من هذا إنه منهاج حياة وإنه يقيم العدل والمساواة وإنه يحترم حرية الإنسان ويجعل منه إنسانا سويا عبدا لله وليس للشهوات هذا هو مفتاح التغيير في أوطاننا وهذا العلاج الذي جربه اسلافنا فكانوا خير أمة أخرجت للناس قال عنهم ملك الصين لما وصفهم له ملك الروم إنهم لو أرادوا خلع الجبال خلعوها .